

التحرير والتنوير

وقوله (أو تهوي به الريح) تخيير في نتيجة التشبيه كقوله (أو كصيب من السماء) . أشارت الآية إلى أن الكافرين قسمان : قسم شركه ذبذبة وشك فهذا مشبه بمن اختطفته الطير فلا يستولي طائر على مزعة منه إلا انتهبها منه آخر فكذلك المذبذب متى لاح له خيال اتبعه وترك ما كان عليه . وقسم مصمم على الكفر مستقر فيه فهو مشبه بمن ألقته الريح في وادٍ سحيق وهو إيماء إلى أن من المشركين من شركه لا يرجى منه خلاص كالذي تخطفته الطير . ومنهم من شركه قد يخلص منه بالتوبة إلا أن توبته أمر بعيد عسير الحصول .

والخروج : السقوط وتقدم في قوله (فخر عليهم السقف من فوقهم) في سورة النحل . و (تخطفه) مضاعف خطف للمبالغة . الخطف والخطف : أخذ شيء بسرعة سواء كان في الأرض أم كان في الجو ومنه تخطف الكرة . والهوي : نزول شيء من علو إلى الأرض . والباء في (تهوي به) للتعدية مثلها في : ذهب به .

وقرأ نافع وأبو جعفر (فتخطفه) " بفتح الخاء وتشديد الطاء مفتوحة " مضارع خطف المضاعف . وقرأه الجمهور " بسكون الخاء وفتح الطاء مخففة " مضارع خطف المجرد . (ذلك من يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب [32]) (ذلك) تكرير لنظيره السابق . الشعائر : جمع شعيرة : المعلم الواضح مشتقة من الشعور . وشعائر الله : لقب لمناسك الحج . جمع شعيرة بمعنى : مشعرة بصيغة اسم الفاعل أي . معلمة بما عينه الله .

فمضمون جملة (ومن يعظم شعائر الله) الخ أخص من مضمون جملة (ومن يعظم حرمان الله) وذكر الأخص بعد الأعم للاهتمام . أو بمعنى مشعر بها فتكون شعيرة فعلية بمعنى مفعولة لأنها تجعل ليشعر بها الرائي . وتقدم ذكرها في قوله تعالى (إن الصفا والمروة من شعائر الله) في سورة البقرة . فكل ما أمر الله به بزيارته أو بفعل يوقع فيه فهو من شعائر الله أي مما أشعر الله الناس وقرره وشهره . وهي معالم الحج : الكعبة . والصفا والمروة . وعرفة والمشعر الحرام . ونحوها من معالم الحج .

وتطلق الشعيرة أيضا على بدنة الهدى قال تعالى (والبدن جعلناها لكم من شعائر الله) لأنهم يجعلون فيها شعارا والشعار العلامة بأن يطعنوا في جلد جانبها الأيمن طعنا حتى يسيل منه الدم فتكون علامة على أنها نذرت للهدى . فهي فعلية بمعنى مفعولة مصوغة من أشعر على غير قياس .

فعلى التفسير الأول تكون جملة (ومن يعظم شعائر الله) إلى آخرها عطفًا على جملة (ومن يعظم حرمان الله) الخ . وشعائر الله أخص من حرمان الله فعطف هذه الجملة للعناية بالشعائر .

وعلى التفسير الثاني للشعائر تكون جملة (ومن يعظم شعائر الله) عطفًا على جملة (ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام) تخصيصًا لها بالذكر بعد ذكر حرمة الله .

وضمير (فإنها) عائد إلى شعائر الله المعظمة فيكون المعنى : فإن تعظيمها من تقوى القلوب .

العموم هو وجوابه الشرط بين والرباط الشرط جواب (القلوب تقوى من فإنها) وقوله A E في قوله (القلوب) فإن من جملة القلوب قلوب الذين يعظمون شعائر الله . فالتقدير : فقد حلت التقوى قلبه بتعظيم الشعائر لأنها من تقوى القلوب . أي لأن تعظيمها من تقوى القلوب . وإضافة (تقوى) إلى (القلوب) لأن تعظيم الشعائر اعتقاد قلبي ينشأ عنه العمل . (لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق [33]) جملة (لكم فيها منافع) حال من الأنعام في قوله (وأحل لكم الأنعام) وما بينهما اعتراضات أو حال من (شعائر الله) على التفسير الثاني للشعائر . والمقصود بالخبر هنا : هو صنف من الأنعام وهو صنف الهدايا بقرينة قوله (ثم محلها إلى البيت العتيق) . وضمير الخطاب موجه للمؤمنين .

والمنافع : جمع منفعة وهي اسم النفع وهو حصول ما يلائم ويحف . وجعل المنافع فيها يقتضي أنها انتفاع بخصائصها مما يراد من نوعها قبل أن تكون هديا . وفي هذا تشريع لإباحة الانتفاع بالهدايا انتفاعا لا يتلفها وهو رد على المشركين إذ قلدوا الهدى وأشعروه حظروا الانتفاع به : من ركوبه وحمل عليه وشرب لبنه . وغير ذلك